خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

وقفَ الهوى بي حيث انتِ فليس لي
متأخرٌ عنه ولا متقدّم
أجدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً
حُباً لذكركِ فليلمني اللُّوّم
اشبهتِ اعدائي فصرتُ احبهم
اذ كان حظي منكِ حظي منهمُ

شاعر الابيات المتقدمة هو محمد بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل المعروف بأبي الشيص، وهو لقب غلب عليه وكنيته ابو جعفر. وهو ابن عم الشاعر دعبل الخزاعي احد شعراء الدولة العباسية.

وابو الشيص من الشعراء المداحين المتكسبين بالشعر، لم ينل شهرة كبيرة بين شعراء عصره لانه لم يصل الى مدح الخلفاء بل انقطع الى مدح والي الرقة عقبة بن جعفر بن الاشعث الخزاعي.

وكان وصافا للشراب على عادة شعراء عصره امثال دعبل وابي نواس ومسلم بن الوليد، وهذا ماروي عنه غير ان متصفح ديوانه لايجد كثيرا من هذه الصفات، وربما ان ابنه الذي روى ديوانه قد اسقط مثل هذا الشعر عند تدوينه.

وعمي ابو الشيص في اخر حياته وقد وردت في الديوان مراثيه لعينيه تحكي قصة معاناته مع تسرب بصره حتى فقدانه.

وقد اغناه والي الرقة عقبة فلم يعد بحاجة الى مدح الخلفاء واكتفى بهذا الممدوح ويقال انه حينما مدحه بقصيدته الشامية التي مطلعها

لاتنكري صدّي ولااعراضي
ليس المقلُّ عن الزمان براضي

فقد امر الوالي ان تعد ابيات القصيدة ومنح الشاعر الف درهم عن كل بيت.

ويقال ان ابا نواس سرق معنى البيت المتقدم
وقف الهوى بي.....

فقد استحسنه ابو نواس وقال لابي الشيص: وحياتك لاسرقن هذا المعنى منك، ثم لاغلبنك عليه، فيشهر ما اقول ويموت ما قلت. وعليه فقد جاء قول ابي نواس متضمنا معنى بيت ابي الشيص في قوله

فما جازه جود ولاحلّ دونه
ولكن يسير الجود حيث يسيرُ

وقد اعترف ابو نواس بشاعرية ابي الشيص، فعندما سئل ابو نواس عن اشعر طبقات المحدثين من الشعراء قال: الذي يقول

يطوف علينا بها احورٌ
يداه من الكأس مخضوبتان

هذا الشعر يوافق ابا نواس لذلك جعل شاعر البيت من اشهر طبقات المحدثين. فالبيت في الخمر وهذا غرض يتيه له ابو نواس ويطرب والى جانب اخر يشير البيت الى الساقي وهو غلام احورٌ وهذا جانب اخر يصلق له النواسي، ثم ان جمالية البيت فرضت نفسها على ابي نواس فضلا عن الاسباب الاخرى فحمرة الخمر لجودتها قد خضبت يد الساقي والخضاب "الحناء" وهذا ما يجنن ابا نواس لذلك فقد اثنى على شاعره، وهذا هو موقف نقدي يحسب للشاعر بغض النظر عن غايات ابي نواس الاخرى.

والابيات المتقدمة قيلت في الغزل، وابو الشيص شاعر غزل ايضا اذ كان يتعشق جارية لاحد رجال بغداد وكان يزورها ويتودد اليها رغم سوادها فقال

ناسبك المسك في السواد وفي الريح فاكرم بذاك من نسب

والمعروف ان لون المسك اسود لذلك فقد استفاد الشاعر من المقاربة بين سواد المسك وسواد الجارية فكلاهما ينتسبان الى لون واحد.

فالهوى والحب قد توقف عند هذه المحبوبة ولم يعد هناك عشق ولا حب في العالم فلا يتقدم عليها ولايتأخر عنها، وهذا يعني ان الشاعر قد التزم هذا الحب واستقر عنده فلا يستطيع ان يتجاوزه فينساه ولا يستطيع ان ينساه فيسلاه.

وهو في هذا الموقف يلتذ حتى في الملامة فهي لذيذة طالما انها تذكّر بالمحبوبة. وهذا التذكر وهذه اللذة هي مبعث اللوم فليكثروا من هذا اللوم طالما ان الشاعر قد وجد في هذا الهوى واللوم لذة، اليس الحب لذة؟!

والشاعر قد احب اعداءه لانها وقفت في جانبهم من حيث الفراق والبعد والقطيعة، فهكذا هو حظ الشاعر من هذه المحبوبة كما هو حظه من الاعداء.

جان دمو

حكما لجمال النساء

يونادم بنيامين

في احدى الاماسي في اتحاد الادباء العراقيين، كان يوم الاحتفال والاحتفاء بصدور مجموعة شعرية عتيقة تحت عنوان "اسمال" جمعها واعدها للطبع والظهور بعض الاصدقاء ولاول مرة في تاريخ الاتحاد في بغداد -يكون الضيف الشاعر والمترجم الاديب الكبير جان دمو- وعندما ارتقى المنبر المقدم والشاعر حميد قاسم الذي يعرف عنه الكثير، وهو يقول لجان خفية انظر صوبهم كأنك صقر، كأنك اسد، استعدل في جلستك لاتأبه لاحد، فقال جان: حميد "شبيك" "هنولة" كلهم اشراف لانهم جاءوا يحتفلون بالمجموعة الشعرية "اسمال" وهنا قال حميد وبصوته الجهوري -ايها الاخوة جان دمو امامكم هذا الذي راهن فقط على الرهبنة الحقيقية في عالم الادب والخلود الادبي فهو شاعر واديب وروائي وكاتب ومترجم ادبي رائع لقد افرزته احدى الصحف في السبعينات مرتبة "رابعة" في البلد كله.

قال جان "هاي كلها الجازات يا حميد"

وهو يؤشر بيده صوب الجالسين، "هؤلاء امامك" دكاترة، ونقاد كبار، وتتعالون على انفسهم كثيرا.

وبعد هذا التقديم. التفت جان الى حميد وقال: ماذا تريد بهذا الصوت المكروفوني حتى "الجوادر" ومعامل الطابوق شرق بغداد يسمعوك "اخفض الصوت..".

ولاول مرة قرأ جان بصوته -قصيدة من ديوانه المطبوع وبعدها توالت القصائد بصوت حميد قاسم.

وبعد اسئلة مقتضبة قال جان: يا اخوان "الذي يقرأ" ولاياكل، الذي يجوع ولايشبع هو الاديب.

لان الرز الفاخر وزانود والفلافل الفرقان، تقتل الابداع وهبط كالملاك وسط تصفيق الادباء واولهم، الشاعر الكبير ابو خلدون "عريان السيد خلف" والشاعر خالد مطلك ومنذر عبد الحر ويونادم وبولص شليطا وجمهرة من الشعراء يقودهم الصعلوك الامين "حسن النواب وماجد حاكم ويونس علي وآخرون..".

وهو يرفع يده "شنو هذا الضوء" مال الكاميرات "هل عندنا عيد ميلاد ذاك الرجل".

وعندما قدم احد الشعراء مرحبا ومباركا جان على هذا العمل الادبي -فقال جان "اين انت يارجل" فقال الشاعر الشاب- لقد تزوجت وهذه زوجتي انظر اليها جان وقال "شنو كلش جميلة" ففرح الشاعر وهو يقول لها ماذا تريدين مني حتى جان دمو اختارك جميلة الجميلات وهذه شهادة من اديب لايحتاج الا الانحناء امامه لادبه ولتواضعه وتوقه الرفيع باسيتي الجميلة. مع ابتسامة لجان دمو الخالد ابد الدهر اينما رحل واينما نأى. فالخلود للمبدعين الانقياء.

ياسين النصير يعيد لقيصر ما لقيصر

مثنى كاظم صادق

يقول أبو حيان التوحيدي: "إن الكلام عن الكلام صعب"، فليس من اليسير الحديث عما طرحه الناقد ياسين النصير في عمله النقدي الجديد ورؤاه، ولاسيما في فن القصة القصيرة، والتي بقيت عناصرها المعروفة "الحدث والزمان والمكان والشخصيات والحبكة الدرامية" حبيسة الأبراج الأكاديمية، والدرس الصفي الصارم، وكانت الدراسات أن تحصر بهذه العناصر فحسب. يرى النصير أن للقصة القصيرة جملتها الفنية الخاصة بها وهي ذات بون شاسع بين جملة الرواية والمسرحية، بيد أن هذه الجملة الفنية في القصة القصيرة تكتفي بنفسها وبذاتها، فلا حسم فيها كما في الرواية والمسرحية، وبذلك يفضي إلى الإشارة والاهتمام إلى جملة الاستهلال "البداية" وجملة النهاية "الختام" فهما في حالة صراع جدلي وما النص بينهما إلا اسلحة لهذا الصراع فالقصة القصيرة عنده "مثل سباق الخيل له بداية ونهاية"، وبهذا تشكل جملة البداية والنهاية في القصة القصيرة عند النصير ثنائية تقابلية تتعامدان طولا وعرضا ويأتي النص بينهما ليجسم البعد الثالث لكنه ليس البعد الاعمق، لأنه يشكل الجبل بين والبين، فجملة الاستهلال تشكل نوعا من الضغوط على النص كضغط الدلالة وضغط الإبلاغ وغيرهما وتبثها عبر النص والذي بدوره يوصلها بالسببية إلى جملة الختام، ولعل هذه المعطيات والتي قدح شرارتها النصير قد تثير الجدل في الأوساط الأكاديمية وربما سيسعى أكثر من باحث إلى تطبيق إجرائي على جملة الاستهلال وجملة النهاية وعندها سيخرج بنتائج مذهلة، فالجملتان وجهان لورقة واحدة هي النص، تكشفان عن ماهية ونوعية الرسالة اللسانية المبلغة مادة وشكلا، وأزعم أننا يمكن الاعتماد عليهما لعلاقة عضوية بينهما، وأقول عضوية، لأنهما أحد أطراف النص فلا يتحقق النص إلا بهما، ولاسيما مدلول "المفاجأة"، فهما مرآتان تعكسان أشعة البث فكرا وشخصية فكلاهما يشتركان بولادة النص عن طريق بثهما الروح في أنياف وخلايا النص الذي بينهما، أن الناقد النصير يقوم بعملية "سك" جديد لمفهوم النص السردي القصصي من خلال فكه لكثير من الاشكالايات حول مفهوم القصة القصيرة والتي -فعلا- تفترقها الخاطرة وقصيدة النثر والصورة القلمية. ولعلنا على صواب في التمثيل لو أشرنا أن جملة الاستهلال في القصة القصيرة تجذب المتلقي وتلقمه وتسير به على سككها إلى إن تصل به إلى المحطة الأخيرة التي ينزل فيها وتقصد بها جملة الختام أو النهاية، ويمكننا أن نضع هذه الخطاطة والتي توضح رؤية النصير حول القصة القصيرة "الجملة الاستهلالية - النص- جملة النهاية" لذا فالعقدة عنده تتجاذبها جملتا البداية والنهاية، فهي جزء من النص بصورته العامة، فلا مكان يحددها كالوسط والنهاية والبداية، بل هي ممتدة تحت عروق النص، فالناقد ياسين النصير - وفق ذلك- قد خرج عن التنظيرات النقدية الكلاسيكية فلا يرى ضمن منظوره النقدي أن ثمة جملة ذروة بين جملة البداية وجملة النهاية فالذروة عنده وكما يقول هي "صراع جدلي بين أقوى النص الصياغية وقوى النص التدميرية، ما يتطلب هذا الصراع هو الذهاب إلى النهاية بسياقات جديدة عندئذ تبدأ جملة النهاية بالتشكل، وهاتان الجملتان تتوالدان معا من أول القصة وحتى نهايتها" وبذلك يكون الناقد ياسين النصير قد فتح لنا بابا واسعا كباحثين أكاديميين إلى الالتفات الصياغية والتدميرية والوقوف بعمق عند جملة الاستهلال وجملة الانتهاء في النص القصصي القصير بدلا من الركون والركود أبدا في التقسيم المدرسي للقصة القصيرة فقط بل يجب الانطلاق إلى فضاءات أوسع وأشمل وبذلك قد أعاد النصير للقيصر ما للقيصر.

قاب نهدين أو احلى

عبد الله نوري الياس

كلما المس شفتيك
يستيقظ العالم من غفوته
والاموات من رموسهم
وتنتفض الارض
على مخلفاتها
ويبتسم الصبر
بعد طول القهر والاهات
يتسع لنظريك الحب
اعض اصابعك العشرة
اقتحم اسوارك المحصنة
بحلاوة الطبيعة والمناظر
واعيد الكرة ثانية وثالثة
مرارا وفرحا ورؤية
وانت مستلقية فوق فراشك
تبسطين في دمي
تاريخ احتلامك
تتدحرجين مثل الطفل
فوق خاصرتي
تطيرين بجمالك
وردة جديدة
وعاشقة صنوبرية
او زاقورة بابلية
حتى تمرين بشغفي
قوس قزح
او مثل نجمة قطبية
او مثل حمامة نوح
فتنتفض الساعة مجنونة
على انقاضها
والخضرة على امواهها
والغبشة على سحنتها
وانا الملم احلامك
من تحت سريرك
بتسارع نبضك القصي
وتلك لصمتي
انت ضمي
شفتيك على عيني
ونارك على اصبعي
مري بجنوني
مري بشراستي
واعصري غيومك في يابستي
وباركي هذا الذي
تلغ بشباعك
اختصري بعجينتي
وظلي كما انت
نجمة فوق الغيم
اميرة فوق العرش والهم
انا من اجلك
عبرت حدود الشمس
ومذاهب العشق
وانطلقت من اصابعك
حتى تسلقت فلسفة الكتب
ونصوص الغيب والعدم
قرأت سحر الطبيعة
في عينيك
حتى وصلت
حدود الالهة
وكهوف الهند والحجر
وحاصرت جهالة العصر
وجئت بطبق العهد لهيبتك
ها انت الان
تئوبين خجلا بين ذراعي
وتختصرين القبلة
قبل بزوغ الفجر
ها انت الان
اصبحت كاملة
مثل التحية والود
مثل العبق والنهر
او مثل الفراشة
حين تطير
تمر بكل المدن
اصبحت اكثر تمطرا
واكثر جاذبية
تسلقي كيفما شئت
تسلقي اي شيء
يليق بشفتيك
ويمنحك جذوة الصحوة
وحلاوة العبور
الى الفردوس
اوراقي مهملة
عند منصتك
ووقتي يتثاءب كالجرح
ويجس نبضاتك
من الرأس
حتى القدمين
اركض وراءك كالمجنون
فلا تظني اني مراهق
او اصابني الوهن
او خيم على ازمنتي التعب
فراعي لازال منتصبا
مثل الفلق والارث والقدم
انا خاتمة الضوء
وفاكهة العشق
ورسالة السلام الى الشعوب
وبوصلة التائهين
في الارض
فنهاري خيمة موسى
ودمي خرائط دجلة
ونينوى وخورسباد
وقلاعي نبض
فينوس وخموس
قلت لك الحق
ان تجلدي شفتي بقبلاتك
وتعصرين اعصابك
في فمي
وتمدين يدك لمنطادي
انا الذي انتشلك من العبودية
الى اللوتس
والنرجس
ومن السبات
الى النطق
اليك تسعى الكائنات
وجمال الزرقة
اليك تسعى السنونوات
ويسعى الشعر والخجل
اليك يسعى الضوء بتيجانه
والحقل بسنابله
والسماء بمجراتها
اليك تسعى الارض بمخلوقاتها
والشمس بانوارها
والليل بسكونه
والاهوار بمشاحيفها
اليك يسعى الحلم والشعر
فعند كفيك ترتاح الطمأنينة
وتخجل الحرية من طقوسها
والنوارس من اعشاشها
وانا اكتب موسوعة
حبك الكبرى
من الجلد حتى النخاع
ومن البدء حتى اللانهاية
فعيني ملقاة بين شفتيك
واحلى من الشهد والرطب
فانا في حالة
تأهب قصوى
وانت في حالة جنون بناى

قرار عربي بتمديد ٢٠٠٩ حتى اشعار اخر

بقلم محسن الصفار

استيقظ سعيد من النوم على رنين الهاتف تحسس في الظلمة حتى وجد الهاتف ورفع السماعة حيث فاجأه صوت صديقه وهو يقول بصوت متحمس:

- لماذا تأخرت في الرد يا سعيد مابك هل انت نائم؟

اجابه سعيد وهو بين النائم والصاحي:

- وماذا يجب ان افعل في منتصف الليل؟ اقيم وصلة غنائية في الكباريه؟ طبعا نائم!! خير هل حصل شيء؟

اجابه صديقه بصوت يعلوه الحماس:

- طبعا حصل يا سعيد لقد تغيرت السنة قبل دقائق وصرنا في عام ٢٠١٠ وودعنا عام ٢٠٠٩، كل عام وانت بخير

جلس سعيد في السرير بعد ان ضغط على مفتاح النور وقال لصديقه:

- قل لي ياصديقي ما دمنا قد اصبحنا في عام ٢٠١٠ هل انتهى احتلال العراق؟

- لا

- هل انتهت الازمة الاقتصادية العالمية؟

- لا

- هل اعلنت الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس؟ وتصالحت فتح مع حماس؟

- لا

- هل استفاق المسلمون من غفلتهم وادركوا ان الخلافات الطائفية والمذهبية لاتنفع احدا سوى اعداء الامة؟

- لا

- هل انحلت ازمة السكن والمواصلات والبطالة والزواج في العالم العربي؟

- لا

- هل حللنا ازمة المجاري على الاقل كي لاتغرق مدننا مع كل زخة مطر؟

- لا

قال سعيد لصديقه وهو يطفأ النور ويضع رأسه تحت اللحاف:

- اذهب للنوم ياصديقي ودعك من الاوهام فما زلنا انا في عام ٢٠٠٩ حتى اشعار آخر!!

على طريق الابداع

اليوم انا وحيدة

فالنتينا بوآرش هيدو

ها قد جاء يوم الرحيل

وحانت ساعة الفراق.. حان الوقت لتجهز حقائب السفر

وتلملم الاغراض والاوراق

لم يعد لدينا متسع من الوقت

ارجوك كفكفي دموعك المنهمرة من مقلتيك كالمطر

فالزمن لن يعود الى الوراء

والايام الجميلة باتت ذكريات

والقدر قد خط كتاباته ولااحد يقف امام القدر

دعيني انظر الى عينيك دون دموع

فتلك النظرة ستكون الاخيرة

ارجوك.. كفاك تعذيبا لي.. فأنا متوجع اكثر منك.. دعني

استنشق عطرك بعمق انفاسي لان عطرك سيؤنس غربتي ووحدتي

هات يدك الناعمة لاقبلها قبلة الوداع

وامسحها بدموعي.. فربما لن يقبلها غيري من بعد الرحيل

الان سأحبس صراخ المهجة اللجوج وسأكتم انفاس قلبي الملتهب داخلي الما.

الان سيبدأ العد التنازلي لرحيلك

ساعد الساعات والدقائق وكأنني احسب الباقي من عمري لاموت

كنت اعرف مسبقا انك سترحلين

فكيف للفجر ان يضم الليل الى صدره؟

لكن الحقيقة عندما تحين تصبح صعبة ومؤلمة وقاتلة

فلقد كنت دوما اقرب الناس لقلبي

واحيانا كنت اشعر بدقات قلبك وسكناته

حتى نظراتك الخاطفة التي كنت اقرأها واحس

بما تعني تلك النظرات

فكيف لتوأم روحي التخلي عني والرحيل؟

وكيف ساعيش بنصف قلب ونصف روح؟

وكيف ساهرب من ذكريات الطفولة والصبا

سأراك في عيون الناس.. سأتذكرك في صوتهم في ملامحهم

وان سألوني عنك.. فكيف لي ان اخفي حزني ووجعي..

ارحلي ولكن!! ارجوك لاتطلبي مني الوداع.. دعيني اغمض عيني وامضي بسلام والالم يعتصر فؤادي

ومضة حنين

نانسي نبيل

حبيبي

إليك ابعث باقة ورد إليك ابعث مشاعر دافئة إليك اكتب نثرا وشعرا

إليك اقدم قلبا كله حب إليك ابعث بأجمل ما قد يخطر في بالك أنثر أحرفي بقلب حبيبة عاشقة ولهانة فحبري أصبح بلون صفحتي لك وأسطري أصبحت تتلألأ لك فاقبل حبي وكل ما أملك هدية مني

فأنتي في قمة الحب عندما أسامرك وأناجي طيفك فأنت مملكة شوقي كم من أيام أقضيها مسامرة الاحلام الجميلة

كم من ليلة وانا هائمة التفكير بك فهمسك قد حرك كل مشاعري أنفاسك أثارت براكين عشقي فأجد نفسي في شاطئ الحب معك أبحر فوق مركب الحنان بوجودك

فوجودك كالحلم يمضي بي ويريحني على شواطيء مخملية

ماذا يريد الكاتب؟

بقلم: محمد جبريل

* الفن، مطلق أبداً، نوري دوماً...

هربرت ريد

* الأدب عالم مغاير..

الفيلسوف بومجارتن

* لا توجد وظيفة أكثر نبلاً من وظيفة الكاتب. إنه الكائن الذي يقود، يعمل بريشته، وريشته تصنع الفرق بينه وبين من يمسك بالمجداف...

مقولة فرعونية

* إن الكلمات هي قذارات محشورة..

الكاتب الفرنسي بريسباران

* لست إلا أديباً، ولا أستطيع، ولا أريد أن أكون شيئاً آخر..

فرانز كافكا

لماذا أكتب؟

لم أعن بتوجيه السؤال إلى نفسي أو مناقشته. نشأت في بيئة تدفع إلى القراءة والكتابة، مكتبة زاخرة بمئات الكتب، وأب جعل القراءة حرفته وهوايته، ومناقشات لا تنتهي في السياسة والاقتصاد والثقافة بين أبي وأصدقائه. أشارك فيها — أحياناً — بما يدفع الأصدقاء إلى هز رؤوسهم بالإعجاب، أو بما يدفع أبي إلى إسكاتي، لسذاجة آرائي.

نشأت وأنا أقرأ وأكتب، فغاب السؤال، لأن الفعل سبق تقصي البواعث. وحين واجهني السؤال، بدأت التفكير في إجابة لم أكن فكرت فيها من قبل، ولا تدبرتها، لأني حين بدأت القراءة الأدبية، فالكتابة، لم أكن طرحت على نفسي أسئلة من أي نوع. والحق أني لا أذكر متى حاولت الكتابة للمرة الأولى. كانت أيام طه حسين هي أول ما قرأت من أعمال أدبية. أذكر اليوم والظروف وتأثيرات القراءة. أما بداياتي الأدبية، أول ما كتبت، فأني لا أذكر متى ولا كيف، وهل عرضت محاولاتي على آخرين، أو كي ألجأ — عبر الكتابة — إلى تمزيقها.

* كانت القصيدة الشعرية هي أول ما كتبت. لم أكن تعلمت الأوزان، فلجأت إلى المحاكاة. قصيدة الرثاء التي كتبها شوقي — مثلاً — تتحول إلى قصيدة متلهفة للحبيبة -. القصيدة البرمكية الشهيرة:

قل للخليفة ذي الصنيعة والعطايا الفاشية
وابن الخلائف من قريش والملوك العالية
إن البرامكة الذين رموا إليك بداهية
صفر الوجوه عليهموا خلع المذلة بادية

إلخ، كتبت على منوالها: قل للحبيبة، وكلمات أخرى باعثها التقليد. فبديهي أن ابن الثامنة، أو التاسعة، لن يكون قد تعرف إلى حب الجنس الآخر بالمعنى الفرويدي، أو حتى الأفلاطوني. ثم كتبت العديد من القصص وأنا في المرحلة الأولية، وهو ما أتصور أن الكثير من الأطفال — في المرحلة السنية نفسها — يفعلونه، لا شبهة نبوغ، أو تفرد، القضية هي فيما يلي هلاميات البداية.

كنت أكتب قصصاً مما يبعث به الصغار إلى مجلات الأطفال، فتنشرها بعد أن تهذبها، أو تعيد كتابتها، وقرأت محاولاتي للتلاميذ — وأحياناً: أساتذة — مدرسة البوصيري الأولية. وعجل زميلي في الدرج المجاور باحترافي، حين أصر أن أكتب له قصة، فلا يقرأها سواه، ودفع المقابل مليمين، كنت أسعد الناس بهما، لا للقيمة المادية، بل لأني تقاضيت أجراً عما كتبته!

* كانت الملاك روايتي الأولى، المطبوعة، توليفة مقلدة للمنفلوطي وطه حسين والمازني والسباعي وعبد الحليم عبد الله وغيرهم، تلتها رواية ظلال الغروب. توهمت — دون وعي حقيقي — أن الجنس مهم في العمل الفني، فحشوتها بمواقف جنسية زاعقة، وغير مبررة، في حين كان قوام الرواية قصة حب ساذجة بين شاب وفتاة، انتهت بموت الفتاة إثر مرض ثم يمهلها. قصة أتيح لي معايشتها، وكانت الفتاة الراحلة هي طرف العلاقة الآخر. ثم كتبت رواية باسم أين الطريق؟، لا أذكر شيئاً من أحداثها ولا شخصياتها، وإن كنت أذكر — بعجب — محاولة صديقي المهندس صلاح شاهين — أحد قيادات الإخوان المسلمين بالإسكندرية — طباعتها على نفقته.

إرهاصات، أحتفظ بها في مكتبي، من قبيل الذكرى، ولتلمس خطوات البداية. أما القصة التي أعتبرها بدايتي الحقيقية، فهي "يا سلام"، كتبتها في ١٩٥٦، ونشرتها ضمن مجموعتي "تلك اللحظة". حاولت — بالطبع — أن أنشر محاولاتي الباكرة في صحف الإسكندرية. قدمت الفصلين الأولين من روايتي "أين الطريق" إلى رئيس تحرير جريدة "العهد الجديد"، وكانت تصدر كلما توافر لها من الإعلان ما يحقق الربح سلفاً، ونشر الفصل الأول من الرواية في الجريدة، لكن رئيس التحرير دفع بالفصل الثاني إلى جريدة أخرى اسمها "الاتحاد المصري"، فنشرته. وعرفت أن الجريدتين تتبادلان النشر بما يسود بياض الصفحات، ولأن القارئ الذي يتابع كان غائباً، فقد كانت تكملة نشر مواد إحدى الجريدتين في الأخرى مسألة واردة، المهم أن تصدر الجريدة فور أن تتوافر لها الإعلانات التي تحقق لها الربح المسبق. بالمناسبة: لقد ضاعت مسودات تلك الرواية الباكرة، ومع أن صديقي صلاح شاهين قد تكفل بطباعة الجزء الأكبر من الرواية على نفقته، ولم يطبع الجزء الباقي لتكاسل مني، لا لتقصير منه.. مع ذلك، فإن كل ما يتعلق بتلك الرواية الباكرة يبدو في ذاكرتي الآن كالأصداء البعيدة، الاسم وحده هو ما أذكره الآن منها!

الفن

— الرواية والقصة على وجه التحديد — عالمي الذي أوثره بكل المودة، أتمنى أن أخلص لهما — تجربة وقراءة ومحاولات للإبداع — دون أن تشغلني اهتمامات مغايرة، لكن الإبداع الروائي والقصصي في بلادنا لا يطعم خبزاً. ربما أتاحت رواية وحيدة في الغرب لكاتبها أن يقضي بقية حياته بلا عوز مادي، فيسافر، ويتأمل، ويقرأ، ويخلو إلى قلمه وأوراقه، دون خشية من الفقر، وما يضمره من احتياجات.. لكن المقابل المحدد، والمحدود، الذي يتقاضاه المبدع في بلادنا ثمناً لعمله، يجعل التفرغ فنياً أمنية مستحيلة.

لقد اعترف الروائي الإنجليزي فرانسيس كنج — في بساطة وصراحة — أن السبب الحقيقي في اتجاهه للنقد، هو أنه من الصعب — في بريطانيا — أن يحيا المرء على كتابة الروايات فحسب، ومن ثم فقد اتجه — وعدد آخر من الروائيين البريطانيين — إلى كتابة النقد والدراسات الأدبية. فإذا كان ذلك هو ما يقدم عليه الروائيون في الغرب — لظروف اقتصادية كما ترى — فماذا نتوقع من الروائيين العرب الذين يتقاضون — مقابلاً لأعمالهم — بما لا يكاد يصل إلى قيمة نقلها على الآلة الكاتبة ؟! "هذه الكلمات، قبل أن يستبدل الحاسوب بالآلة الكاتبة، بالإضافة إلى تفشي جريمة الحصول من الأدباء على تكاليف النشر بدلاً من مكافآتهم، ولو ببضع نسخ !" من هنا، كان اختياري — أو لجوئي — للصحافة، فهي الأقرب إلى قدرات الأديب واهتماماته، وهمومه أيضاً. وكنت أتذكر المازني وهو يجد في كل ما يصادفه مادة صحفية، بينما الفن وحده شاغله وهواه، وكتبت فيما أعرفه، واستعنت — بالقراءة ومحاولة الفهم والاقتراب المباشر — فيما لم أكن أعرفه. ووجدت في حياتي الصحفية — أحياناً — ما يغري بكتابة عمل فني: رواية النظر إلى أسفل مثلاً، ورواية الأسوار، ورواية الخليج"، ورواية صيد العصاري"، ورواية كوب شاي بالحليب وغيرها، لكن الأدب ظل — بالرغم مني — ترجمة فراغ. أحاول الكتابة إن وجدت في أسوار الصحافة منفذاً. لذلك كان ترحيبي — متحمساً — بالسفر إلى سلطنة عمان، للإشراف على إصدار جريدة "الوطن". وكنت أمني النفس بأن أتفرغ في الغربة ما يعينني على الإخلاص للفن وحده، لكن الأمنية ظلت في إطارها لا تجاوزه. وكان لابد أن أكتب في موضوعات تقترب من الفن، أو تبعد عنه. وحتى لا أفقد ذاتي في سراديب مجهولة النهاية، فقد فضلت أن تكون محاولاتي أقرب إلى ما يشغلني بالفعل، في الفن، وفي الحياة عموماً. وبصوت هامس — ما أمكن — فإن "مصر"، الموطن واللحظة والماضي والمستقبل، هي الشخصية الأهم في كل إبداعاتي. ذلك ما أحرص عليه، وما لاحظه حتى القارئ العادي. تعمدت أن تكون مصر: تاريخها وطبيعتها وناسها ومعاناتها وطموحها، نبض كتاباتي جميعاً، ما اتصل منها بالصحافة وما لم يتصل، ما اقترب من الأدب وما لم يقترب. وكانت حصيلة ذلك — كما تعرف — عشرات المقالات التي تتناول شؤوناً وشجوناً مصرية، بدءاً بكتابي "مصر في قصص كتابها المعاصرين" إلى كتاب "مصر المكان"، وربما إلى كتب أخرى تالية. لم تكن الصحافة إذن مدخلي إلى الأدب، لكن الأدب كان مدخلي إلى الصحافة. أحببت الأدب — كما قلت لك — في سن باكرة، لا أستطيع تحديدها تماماً. ولما حاولت اختيار وظيفة أحيا من راتبها، كانت الصحافة هي المهنة الأقرب إلى اهتماماتي الأدبية. أتذكر قول أرسكين كالدويل: "لم يكن لدي طموح في أن أجعل الصحافة مهنتي في الحياة، لكن عمل الصحافة هو الكتابة، وكانت الكتابة هي الشيء الذي كنت أريد أن أتعلمه" (ت مسعد جاد). أقدمت على العمل في الصحافة وفي خاطري قول همنجواي "إن العمل الصحفي لن يؤذي الكاتب الناشئ إذا استطاع أن يتخلص منه في الوقت المناسب. وكنت أدرك — كما أدرك تولستوي دوماً — أن أية مهنة لا يمكن أن تنتزعني من الأدب. عاهدت نفسي — مثلما فعل كالدويل من قبل — على أن أي عمل أشتغل به غير الكتابة، سوف يكون مؤقتاً، لا لشيء إلا من أجل الاستمرار في العيش، والاحتفاظ بسقف فوق رأسي، وبكساء فوق جسدي.

قد تقتل الصحافة موهبة الأديب إن نسي نفسه، وارتمى في أمواجها. اخترت الصحافة لأنها أقرب المهن إلى طبيعة الأديب، وإلى اهتماماته، وحتى لا أصبح مثل جوليان سوريل — بطل ستندال — فأواجه دائما تلك المشكلة الأبدية التي تتمثل في الوجبة التالية، ومن أين آتي بها. إذا كنت قد حاولت الإجادة، فلأني أحاول الإجادة في أي عمل أوافق على أدائه، حتى لو لم أكن أحبه. مع ذلك، فإني أحاول أن أجعل معظم وقتي للأدب، وأقله للصحافة.

علمتني ذلك تجربة السنوات التسع التي قضيتها مسؤولاً عن تحرير "الوطن". وحتى الآن، فإن حلم كافكا يراودني في أن أستطيع الحصول من عمل أكتبه على ما يسد احتياجاتي، لكي أفرغ لكتابة عمل آخر. حينذاك تكون كل أماني في الحياة قد تحققت.